

نظرية نانسي ايزنبرج في السلوك الاجتماعي

د. حسين عبدالفتاح الغامدي

ترى ايزنبرج ان واحدة من الانتقادات التي توجه لنظرية كولبرج اعتمادها على قصص اوقضايا اخلاقية مرتبطة بكسر القانون، وانها لم تقدم قضايا مرتبطة باخلاقيات التضحية من اجل الآخرين بعيد عن المخالفات القانونية. وتعتقد ان ذلك ينمّن ان ينعكس على اختيارات الافراد ومن ثم على تقدير الباحثين لمراحلهم الاخلاقية. وعلى هذا الاساس فقد اعتمدت في اختبارها لقياس السلوك الاجتماعي على قصص تعتمد فعلا على قياس مدى التضحية برغبات وحاجات الانسان من اجل الآخرين. ومن هذه القصص على سبيل المثال القصة التالية:

"بينما كانت ميري ذاهبة في يوم ما الى عيد ميلاد صديقتها شاهدت في طريقها طفلة تسقط وقد اصببت ساقها. طلبت الطفلة من ميري ان تذهب الى منزلها لتحضر والديها لياخذوها الى الطبيب. ولكن اذا ذهبت ميري لاحضار والديها فانها سوف تتأخر عن حفلة عيد ميلاد صديقتها وسوف يفوتها الـايس- كريم والكيك وكل الالعاب. ماذا على ميري ان تفعل؟ لماذا؟"

ان الاختبار يتفق مع هدفها لقياس التضحية من اجل الآخرين دون الدخول في متاهات كسر القوانين يدل على تركيزها على التعاطف مع الآخرين، اذ ترى انه مع نهاية سن المدرسة الابتدائية يبدأ ادراك اهمية المشاعر الوجدانية كدافع للسلوك الاخلاقي. كما يشير ظهور هذه المشاعر الوجدانية الى ان تحول فهم الاطفال للسلوك الاجتماعي الى الغيرية طالما ان هذا التفكير يشمل قرارا بالمساعدة دون انتظار للنتائج. كما وجدت ايزنبرج ورفاقها ان الاطفال بين 9 سنوات و 10 سنوات ممن يظهرون تعاطفا مع منهم اكبر منهم يقعون في مراحل اعلى خلال المراهقة مقارنة بغيرهم ممن لم يكونوا قادرين على اظهار التعاطف خلال الطفولة.

ومن خلال الدراسة ثم سلسلة من الدراسات العرضية ودراسة طويلة واحدة توصلت منها ايزنبرج الى تحديد مراحل للنمو الاخلاقي او الاجتماعي الايجابي. ولقد دعمت نتائج بعض الدراسات المستخدمة لتكنيك ايزنبرج فيما بعد صحة هذا التوجه في وصف النمو الاجتماعي. ويمكن تلخيص مراحل النمو كما تراها نانسي ايزنبرج فيما يلي:

1. **التوجه الهيدوني العملي Hedonistic, Pragmatic Orientation**: يقع غالبية الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ما قبل المدرسة والسنوات الاولى من سنوات الدراسة في هذه المرحلة. ويرى الاطفال في هذه المرحلة الى ان السلوك المقبول او الصحيح (الصحيح Right) هو ما يحقق حاجات الفرد نفسه. فقرار الطفل بمساعدة الاخرين او عدم مساعدتهم تعتمد على حالته او ذاته. لا يستطيع المساعدة لاني جائع مثلا. وهنا يمكن ملاحظة ان اخلاقية الفرد في هذه المرحلة مازالت متمركزة حول الذات، وهذا النوع من التفكير يمكن ان ينسجم مع خصائص النمو الاخلاقي في المرحلة الثانية من نموذج كولبرج.

2. **التوجه نحو حاجات الاخرين Needs of Others Orientation**: يقع في هذه المرحلة بعض اطفال الطفولة المبكرة (ما قبل سن المدرسة الابتدائية) واطفال المدرسة الابتدائية (الطفولة المتوسطة بين سن 7-8 سنوات). وترتبط القرارات الاخلاقية بحاجات الاخرين، الا انه وبالرغم من هذا الارتباط فان قدرة الطفل على تمثيل الدور واخذ وجهات نظر او مشاعر الاخر في الاعتبار غير واضحة. كما ان مشاعر الفرد الوجدانية نحو هذه الحاجات غي واضح ايضا اذ يعبر عنه بشكل بسيط ومباشر " انه يحتاج ذلك، او انه يتألم، انه يبكي الخ".

3. **اخلاقيات السماح المعتقد Stereotyped, Approval -Focused Orientation**: يستمر الاطفال في المرحلة الابتدائية والمراهقين الى نهايات المرحلة الثانوية في هذه المرحلة. وترتبط الاحكام الاخلاقية للأفراد بما اعتادوا عليه كافعال مسموحة من الاخرين في الاسرة او المجتمع، او بما هو مفضل من الاخرين. مثالا على استجابات الافراد في هذه المرحلة استجابة ادهم" سيحبه اكثر اذا ساعده". وعلى العكس من رؤية كولبرج امن ان المرحلة الثالثة لا تحقق قبل المراهقة فان المراهقين وفقا لاسلوب قياس ايزنبرج يمكن ان يصلوا الى هذا المستوى من التفكير الاخلاقي في الطفولة المتوسطة.

4. **التوجه التعاطفي Empathic Orientation**: قد يحقق بعض طلاب المرحلة الابتدائية وطلاب المرحلة الثانوية هذه المرحلة. ويرتبط التفكير والاحكام الاخلاقية فيها بالمشاعر الوجدانية تجاه الاخرين. ومثالا على الاستجابات في هذه المرحلة الاستجابة التالية " ساشعر بمشاعر سيئة اذا لم اساعده لانه يتألم".

5. **توجه القيم المستدخلة Internalized- values Orientation:** يمكن ان تحقق هذه المرحلة خلال المراهقة وما بعدها، كما يمكن لقلة من طلاب المرحلة الابتدائية تحقيقها ايضا. وتعتمد الاحكام الاخلاقية على القيم المستدخلة Internalized Values حول الغيرية Altruism، والذي يعني تحديدا السلوك الهادف الى مساعدة الاخرين من غير انتظار للثابة. ومنها السعي لاداء الواجب، الاعتقاد في الشرف في التعامل مع الاخرين والعدالة والمساواة.... الخ. ويتربط مشاعر السعادة او الالم والذنب بالفعل. ومن الاستجابات في هذه المرحلة الاستجابة التالية " ساشعر بالالام اذا لم اساعده لاني لم اتمسك بالمبادئ التي اؤمن بها".

ولقد وجد ان هذه المراحل تأخذ نفس التتابع في ثقافات مختلفة مشابهة في ذلك ما وجد في الثقافة الامريكية. كما وجد ان التربية والثقافة يمكن ان تؤثر على سرعة النمو، حيث وجد ان الاطفال في بعض الثقافات يمكن ان يظهروا تعاطفا مع الاخرين في وقت مبكر نسبيا مقارنة بغيرهم من ثقافات اخرى. في حين اظهر بعض الاطفال تاخر في النمو مقارنة بالآخرين والمعايير سابقة الذكر في المراحل.